

جَمَهْرَة أشعار العرب، من أهم المجموعات الشعرية العربية وأقدمها في القرون الإسلامية الأولى، جمعها أبو زيد محمد بن الخطّاب القرشيّ. ليس في متناولنا معلومات موثوقة عن تاريخ حياة أبي زيد، فقد ذكر البعض أنّ سنة وفاته في العام 170هـ (← أمين، مج2، ص276؛ الراجعيّ، مج4، ص245؛ سر كيس، مج1، الفقرة 313). عدّه البستانيّ (مج2، ص200) من كتاب العصر العبّاسيّ الأوّل (132-233هـ)، وآخرون قالوا إنّه عاش في القرن الثالث الهجريّ (← زيدان، مج1، ج2، ص415؛ عطية، ص472، الموسوعة العربية العالمية، مج14، ص144) أو القرن الرابع الهجريّ (سزغين، مج2، ج1، ص90؛ حسن، ج1، ص75). أمّا مصطفى جواد (ص179-181) استناداً إلى أنّ جَمَهْرَة أشعار العرب يتضمّن (ص596، 703) مسائل من ديوان الأدب لإسحق بن إبراهيم الفارابيّ (المتوفّى حوالي 370هـ) ومن الصحاح للجوهريّ (المتوفّى في العام 398هـ)، فقد رجّح أن تكون أسماء هذه الكتب قد وردت في الحواشي، ونقلها النساخ بعد ذلك إلى متن الجمهرة (← د. الإسلامية، الطبعة الثانية، التكملة 1-2، مادة "أبو زيد القرشيّ"؛ بلاشير، مج1، ص142، الحاشية 2). للتحقيق في هذه القضية يتوجّب الأخذ في الحسبان أسانيد أبي زيد القرشيّ في متن الكتاب، فقد أورد في سلسلة أسانيده، ابن الأعرابيّ (المتوفّى في العام 231هـ) بواسطة واحدة مرّة، وفي مرّة أخرى الهيثم بن عدّيّ (المتوفّى في العام 206هـ) بواسطتين (← ص34-35)، كما أورد أيضاً بواسطتين بعض المسائل عن أبي عبيدة (المتوفّى في العام 209هـ) والأصمعيّ (المتوفّى في العام 216هـ) (← ص43، 52). بناءً عليه، من غير المستبعد أن تكون الجمهرة قد ألّفت في أواخر القرن الثالث الهجريّ (← د. الإسلامية؛ بلاشير، م.ن؛ ضيف، 1397هـ/1977م، ص178). ذكر هذا التاريخ أيضاً بعضُ المحقّقين المعاصرين (على سبيل المثال ← بروكلمان، مج1، ص75؛ إسماعيل، ص81). النقطة الأخرى هي أنّ الكثير من أسانيد الجمهرة عائدة إلى شخص يدعى المفضّل، هو غير المفضّل الضبّيّ (المتوفّى في العام 168، أو 170هـ)، لأنّ أبا زيد القرشيّ أورد في الجمهرة (ص30) اسمه الكامل على النحو التالي: أبو عبد الله المفضّل بن عبد الله المجبري (أسد، ص587). إذا أخذنا في الحسبان الرواة الذين نقل عنهم المفضّل، يمكن عدّه من رجال القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريّ (م.ن، ص.ن) لقد عرّف كلٌّ من بروكلمان (م.ن، ص.ن) وسزغين (م.ن، ص.ن) المفضّل ابن مجبر، من نسل عمر بن الخطّاب. البعض أيضاً، عدّ خطأ المفضّل هذا والمفضّل الضبّيّ شخصاً واحداً (← فروخ، مج2، ص300، نقلًا عن جَمَهْرَة أشعار العرب، طبعة مصر 1345هـ/1926م)، لذا عدّ تاريخ حياة أبي زيد القرشيّ النصف الثاني من القرن الثاني الهجريّ (فروخ، م.ن، ص.ن).

في إحدى نسخ الجمهرة، يعود تاريخ كتابتها إلى العام 683هـ، ورد اسم محمد بن أيوب العزيزيّ العمريّ مؤلفاً للكتاب وشارحاً له، وهو شخصٌ مجهول، وفي النسخ الأخرى لم يرد هذا الاسم (← سزغين، م.ن، ص.ن؛ أسد، ص586؛ القرشيّ، مقدّمة البجاويّ، ص5-6). أوّل من أورد اسم الجمهرة، هو ابن رشيّق القيروانيّ (المتوفّى في

العام 456هـ)، وذكر أن اسم مؤلفها محمد بن أبي الخطاب (← مج 1، ص 96). وتبعاً لابن رشيق ذكر اسم الجمهرة ومؤلفها أيضاً كل من السيوطي في المزهر (مج 2، ص 480)، وعبد القادر البغدادي (المتوفى في العام 1093هـ) في خزانة الأدب (مج 1، ص 126، مج 9، ص 531).

تتضمن الجمهرة 49 قصيدة لـ 49 شاعراً من العصرين الجاهلي والإسلامي، نُظمت بترتيب خاص، لا مثيل له (← تنمة المقالة). لفظة الجمهرة بمعنى الجمع والمراكمة (الأزهري؛ ابن منظور، مادة "جمهر"). ذكر ابن دُرَيْد الأزدِي (المتوفى في العام 321هـ)، في مقدمة كتاب جمهرة اللغة (مج 1، ص 41)، أنها سُميت كذلك لأنها تضمّ جمهورَ كلام العرب (أي معظمه أو المقدار الكبير منه). وردت لفظة جمهرة اسماً لعدة كتب، مختلفة الموضوعات في القرنين الثالث والرابع الهجريين (← حسن؛ الموسوعة العربية العالمية، م. ن، ص. ن). إحدى ميزات كتاب جمهرة أشعار العرب الواضحة مقدّمته المفصّلة والقيّمة، التي تتضمن عدداً من المباحث. تطرّق المؤلف أوّلاً إلى المقارنة بين ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الشعر الجاهلي، وأيدّ النظرة القائلة بأنّ جميع ألفاظ القرآن الكريم عربيّة، وبعض الألفاظ القرآنيّة المستخدمة في اللغات الأخرى، مشتركة بين العربيّة وهذه اللغات (← القرشي، ص 11-30). ثمّ عرّف أوّل من قال الشعر، وهو آدم عليه السلام كما يعتقد القدماء، وبعد ذلك أورد أبياتاً لإبليس ولقوم عاد وثمود وغيرهم (← ص 30-33). بحث الشعر بمنظار الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وصحابته، وتكلّم قليلاً حول جوهر الشعر (← ص 45-46)، بعد ذلك، أورد مسائل مفصّلة حول أشعار الجنّ وشياطين الشعراء (← ص 47-63)، وهي من المسائل الخرافيّة في الأدب العربيّ (← البستاني، مج 2، ص 203). بعد ذلك، ذكر أخبار الشعراء وطبقاتهم، ونقل الأخبار التي تحدّثت عن تفوّق بعض الشعراء على غيرهم، ومقاطع من قصائدهم، وأقوال رواة الشعر حول الشعراء (← القرشي، ص 65-110). بحسب سزغين (م. ن، ص. ن). فإنّ أبا زيد القرشيّ متأثر في مقدّمة الجمهرة بكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة. طرح القرشيّ في تصنيفه للشعراء في طبقات، وتقديم بعضهم على البعض الآخر، بعض الآراء النقدية بمنظار الجيل الأوّل من الرواة وغيرهم، ممّا يعدّ الخطوات الأولى في النقد الأدبيّ في الأدب العربيّ (← إسماعيل، ص 88؛ الدقاق، ص 51؛ حسن؛ سركيس، م. ن، ص. ن)؛ ومع ذلك قد اثنقّد لأنّه في تفضيله للشعراء اكتفى بنقل أقوال غيره، ولم يكن له رأي خاص بالنسبة إلى هذا الموضوع (← إسماعيل، ص 86-87؛ البستاني، م. ن، ص. ن).

بعد المقدّمة، دوّن أبو زيد القرشيّ مجموعته في سبعة فصول وكلّ فصلٍ يتضمّن سبع قصائد. هذا التقسيم -الذي لم يُر مثله في أيّ مكانٍ آخر (← أسد، ص 587؛ أمين، مج 2، ص 276)، وفي اعتقاد البعض أنّه وصل إلى العرب من الثقافة اليونانيّة (على سبيل المثال ← فروخ، م. ن، ص. ن)- إنّما هو دليلٌ على مكانة العدد سبعة في الثقافة الإسلاميّة والأدب العربيّ (لمزيد من التفصيل ← ابن منظور، مادة "سبع"؛ يونس، ص 142، مادة "سبعة"؛ حسن، مج 1، ص 76؛ الدوري، ص 162). هنالك من يعتقد أيضاً أنّ المؤلف قسّم الفصول على أساس العدد سبعة، لأنّ الفصل الأوّل

(المُعلِّقات)، يتضمّن سبع قصائد (← إسماعيل، ص85؛ حسن، م.ن، ص.ن). في بعض نُسخ الجَمْهَرَة بعض الفصول يتضمّن ثمان قصائد، والبعض الآخر ستّ، وذلك على ما يبدو من أخطاء النساخ (← د. الإسلاميّة، م.ن، ص.ن).

فصول جَمْهَرَة أشعار العرب على النحو التالي:

1) أصحاب المُعلِّقات، وكلّهم من العصر الجاهليّ وهم: امرؤ القيس، وزُهَيْر بن أبي سُلمى، والنابغة الذبيانيّ، والأعشى البكريّ، ولييد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد.

2) أصحاب المُجَمْهَرَات (ذات الأسلوب المتين والحكم؛ أمين، م.ن، ص.ن)، الشعراء السّنة الأولى من العصر الجاهليّ، والسابع مخضرم، أي أدرك العصرين الجاهليّ و صدر الإسلام (قارن عُطبة، ص473؛ د.ا. التركيّة، المادّة نفسها، حيث عدّ شعراء هذا الفصل كلّهم جاهليّين). وهؤلاء الشعراء هم: عبّيد بن الأبرص، وعنترة بن عمرو، وعديّ بن زيد، وبشر بن أبي خازم، وأمّية بن أبي الصلت، وخداش بن زُهَيْر، ونمر بن توّلب.

3) أصحاب المُنتقيات، من الجاهليّين والمخضرمين وهم: المُسيّب بن علس، والمُرَقّش الأصغر، والمُتلمّس جريّ، وعروة بن الورد، ومُهلهل بن ربيعة، وذريد بن الصّمة، والمُتَنخّل بن عويّير.

4) أصحاب المُذهّبات أو المُذهّبات (القصائد التي يجب أن تكتب بماء الذهب؛ البغداديّ، مج1، ص125)، وهم جاهليّون ومخضرمون: حسّان بن ثابت، عبد الله بن رواحة، مالك بن عجلان، قيس بن الخطيم، أحيحة بن جلاح، أبو قيس بن الأسلت، وعمرو بن امرئ القيس.

5) أصحاب المراثي، من الجاهليّين والمخضرمين وهم: أبو ذؤيب الهذليّ، ومحمد بن كعب الغنويّ، والأعشى الباهليّ، وعَلْقَمَة بن ذي جدن الحميريّ، وأبو زبيد الطائيّ، ومُتمّم بن نُويّرة اليربوعيّ، ومالك بن الريب التميميّ.

6) أصحاب المُشوّبات (الأخلاق)، وكلّهم مخضرمون، ولأنّهم أدركوا العصرين سُمّيت قصائدهم المُشوّبات وهم: النابغة الجعديّ، كعب بن زُهَيْر، القطاميّ عمير بن شبيب، الحطيئة العبسيّ، الشماخ بن ضرار، عمرو بن الأحر، وتميم بن أبي بن مُقبل.

7) أصحاب المُلحّمات (القصائد المنسجمة والحكمة؛ أمين، م.ن، ص.ن)، وكلّهم من شعراء العصر الإسلاميّ وهم: الفرزدق، وجريّ، والأحطل، وعبّيد الراعي، وذو الرّمة، وكُمَيْت بن زيد الأسديّ، والطرّمّاح بن حكيم الطائيّ.

بناءً على ما تقدّم، معظم هذه القصائد من العصر الجاهليّ، وفي هذا السياق، تسمية الفصل الخامس (المراثي) مستمدة من موضوع القصائد، وباقي الأسماء، باستثناء المعلقات والمشوبات، إنّما هي تسميات لا مسوّغ لها (← أمين، م.ن، ص.ن؛ بلاشير، مج1، ص143؛ المراغي، ص119).

قبل جَمَهْرَة أشعار العرب كان هنالك عدّة مجموعات وسفائن للأشعار العربيّة، من بينها المُعلّقات، التي جمعها حمّادُ الراوية* (المتوفى في العام 155هـ)، والمُفضّليّات*، التي جمعها المفضّل الصّبّي*؛ والأصمعيّات، التي جمعها عبد الملك الأصمعيّ. يرى البعض أنّ الجمهرة تكملّة للمفضّليّات والأصمعيّات (← د.ا. التركيّة، م.ن، ص.ن؛ عطية، ص472؛ الدقاق، ص54)، ويرى البعض الآخر، أنّ قيمة الجمهرة من حيث الأهميّة والفائدة تعادل قيمة هاتين المجموعتين (داية، ص74).

جمعت في الجُمهرة أفضل قصائد العصرين الجاهليّ والإسلاميّ (القرشيّ، ص99، زيدان، مج1، ج1، ص73-74؛ جواد، ص179)، ودوّنت فيها مجموعة قيّمة (أمين، مج2، ص277؛ ضيف، 1397هـ/1977م، ص179). تُشكّل مصدرًا مهمًّا للتحقيق والبحث حول شعر العصر الجاهليّ ورسم صورة عن هذا الشعر (فروخ، مج2، ص19). بعض قصائد الجُمهرة فريدة، لم ترد من قبل في أيّ مكان آخر (← القرشيّ، مقدّمة بجّاوي، ص3؛ حسن، مج1، ص78؛ الدقاق، ص53؛ داية، ص73). لم يكن لدى أبي زيدٍ القرشيّ حسّ نقديّ، لذا لا نلاحظ في الجمهرة أثرًا للإبداع، لكنّ مجموعته تدلّ على الذوق العام لرواة ذلك العصر في عرض عددٍ كبيرٍ من الأشعار (د. الإسلاميّة، م.ن، ص.ن)؛ علماً أنّ هنالك شكًّا في صحّة الروايات، إلى حدّ عدّ أسانيد الكتاب ضعيفةً (ضيف، 1397هـ/1977م م.ن، ص.ن).

من ميزات الجُمهرة إيراد القصائد الطوال (نفسه، 1394هـ/1975م، ص144)، من بينها قصيدة ذي الرّمّة (المتوفى في العام 117هـ) التي تبلغ 126 بيتًا (← القرشيّ، ص744-782).

من الخصائص الأخرى للجمهرة، أنّ القرشيّ غالبًا ما لجأ بعد ذكر الأبيات إلى شرح مفرداتها (من ذلك ← ص312، 748)، لكنّ بعض الأبيات أوردها من دون شرح (من بينها ← ص381-498)، وعلى العكس من المُفضّل الصّبّي والأصمعيّ، اللذين أوردا أحيانًا عدّة قصائد لشاعر واحد، لم يذكر هو للشاعر سوى قصيدة واحدة، من دون أن يُعلّل اختياره، أو يذكر سبب اكتفائه بقصيدة واحدة (← إسماعيل، ص84-85). كذلك هو لم يُعلّل تصنيفه الشعراء في طبقات، ولم يجرِ كذلك أيّ مقارنة بين القصائد (م.ن، ص87).

من النقاط الجديدة بالذكر في الجمهرة أنّ القرشيّ وضع بعد أسماء الخلفاء عبارة "رضي الله عنه"، لكن حيثما ورد اسم عليّ عليه السلام وضع بعده عبارة "عليه السلام" (على سبيل المثال ← ص 29، 44، 642). وكتب عن الخوارج أنّهم أولئك الذين خرجوا على مولانا عليّ عليه السلام (ص 736). هذه الشواهد إنّ لم تكن دليلاً على تشييعه، تدلُّ كما يقول مصطفى جواد (ص 194-195) أنّه ألف كتابه في العصر الفاطميّ.

هنالك نسخٌ عديدة متوافرة من الجمهرة (← بروكلمان، مج 1، ص 76؛ سزغين، مج 2، ج 1، ص 90-91). كما أنّ فصولاً منها قد طُبعت (← سزغين، مج 2، ج 1، ص 91، د.ا. التركيّة، م.ن، ص.ن). طبعها للمرّة الأولى سعيد أنطوان عمّون مستقلّة في العام 1308هـ/1890م في بولاق. كما طُبعت بعد ذلك عدّة مرّات في القاهرة وبيروت ودمشق وأحياناً باسم آخر (← سزغين، سر كيس؛ د.ا. التركيّة، م.ن، ص.ن). قرآن أحمد خطّاب (ص 653-670) بين طبعين لـ الجمهرة. وعالج نقاطاً كتصحيح بعض المفردات، والاختلاف في رواية الأشعار، وتعداد أبيات القصائد. كما أنّ بعض المستشرقين، كـ نولدكه¹، ونالينو²، قد نشروا أيضاً مقالات حول مواضيع الجمهرة وطبعاتها (← سزغين، د.ا. التركيّة، م.ن، ص.ن).

المصادر والمراجع: ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، ط. رمزي منير بعلبكي، بيروت 1407-1408هـ/1987-1988م؛ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط. محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت 1402هـ/1981م؛ ابن منظور؛ محمّد بن أحمد الأزهرى، تهديب اللغة، مج 6، ط. محمّد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج عقده، القاهرة [لاتا.]. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، بيروت 1408هـ/1988م؛ عزّ الدين إسماعيل، المصادر الأدبيّة واللغويّة في التراث العربيّ، بيروت [؟1394هـ/1975م]؛ أحمد أمين، ضحى الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربيّ، [لاتا.]. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، مج 1، نقله إلى العربيّة عبد الحلّيم نجّار، القاهرة 1393هـ/1974م؛ بطرس البستاني، أدباء العرب، بيروت 1408-1410هـ/1988-1990م؛ عبد القادر بن عمر البغداديّ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط. عبد السلام محمّد هارون، القاهرة 1400-1978هـ/1967-1980م؛ مصطفى جواد، "مؤلف جمهرة أشعار العرب"، مجلة المجمع العلميّ العراقيّ، مج 7 (1379هـ/1959م)؛ عزّة حسن، المكتبة العربيّة: دراسة لأمّهات الكتب في الثقافة العربيّة، مج 1، دمشق 1390هـ/1970م؛ أحمد خطّاب، "جمهرة أشعار العرب، بين طبعين لأبي زيد القرشيّ"، مجلة معهد المخطوطات العربيّة، مج 28، العدد 2، الكويت (شوال 1404 - ربيع الأوّل 1405هـ/ تمّوز-يوليو 1984 - 1-ديسمبر 1984م)؛ محمّد رضوان داية، المكتبة العربيّة ومنهج البحث، دمشق 1420هـ/1999م؛ عمر دقاق، مصادر التراث العربيّ في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، بيروت: مكتبة دار الشرق، [لاتا.]. عوض محمّد الدوري، مصادر دراسة الشعر العربيّ في العصر الأمويّ، بغداد 1321هـ/2001م؛ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، بيروت

¹ . Noldeke

² . Nallino

1420هـ / 1999م؛ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربيّة، بيروت 1403هـ / 1983م؛ يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، القاهرة 1346هـ / 1928م، ط. أوفست قم 1410هـ / 1989م؛ فؤاد سزغين، تاريخ التراث العربيّ، مج2، الجزء1، نقله إلى العربيّة محمود فهمي حجازي، [الرياض] 1403هـ / 1983م، ط. أوفست قم 1412هـ / 1991م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط. محمّد أحمد جاد المولى، علي محمّد بجابوب، ومحمّد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة [لاتا.]. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربيّ، مج4: العصر العباسيّ الثاني، القاهرة [1394هـ / 1975م]؛ نفسه، العصر الجاهليّ، القاهرة [1397هـ / 1977م]؛ عبد الرحمان عطية، موسوعة المصادر والمراجع، بيروت 1418هـ / 1998م؛ عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربيّ، بيروت 1404-1405هـ / 1984-1985م؛ محمّد بن أبي الخطاب القرشيّ، جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، ط. علي محمّد بجاوي، القاهرة [1981]؛ محمود أحمد حسن المراغي، دراسات في المكتبة العربيّة وتدوين التراث، بيروت 1411هـ / 1991م؛ الموسوعة العربيّة العالميّة، الرياض: مؤسّسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ / 1999م؛ عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، بيروت 1403هـ / 1983م؛

أجنبي.....

/باقر قرباني زرّين/